ملامح من التجربة النضالية الفلسطينية

حرب العصابات في مدن ومخيمات قطاع غزة

علي زين العابدين الحسيني

لمحة ديمغرافية عن القطاع :

بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، برز قطاع غزة كمنطقة من أكثر المناطق توهجا واشتعالا بالنضال . وجذبت غزة — بحربها الخاصة — اهتماما عالميا طغى في احيان كثيرة على الاهتمام بمناطق اخرى يحتدم فيها ايضا النضال . فلماذا انفرد قطاع غزة ، قطاع الموت والجحيم — عن سائر المناطق الاخرى بوضع نضالي متميز ؟

للاجابة على هذا ، لا بد من الالمام بالمعطيات الديمغرافية الاساسية للقطاع ، وعلينا أن نعود سنوات الى الوراء حيث عام النزوح الاول (١٩٤٨) حين تدافعت جموع النازحين — قهرا — جنوبا لتتوقف ، تلك الوقفة التي استمرت اكثر من عشرين عاما .

لقد اعاد هؤلاء القرويون (الجنوبيون) تشكيل المجتمع الفزي الجديد ، فمنذ بداية وصولهم كان واضحا انهم يرفضون ان يعمقوا جذورهم في القطاع « لان هذا الرحيل رحيل مؤقت » . وكانت عبارة « بكره بنروح » هي الاغنية التي يفعمونها بحزن وشوق لا يوصفان ويرددونها في مجالسهم ويحلمون بها . وكانوا يرفضون شراء الارض ، يرفضون تشييد منازل حجرية ، حتى لا يعني هذا انهم قد تخلوا — ولو لفترة — عن التصاقهم الابدي بقراهم وبيوتهم التي ارغموا على النزوح منها .

لقد سادت روح المخيم القطاع الذي أصبح يضم ثمانية مخيمات ضخمة للاجئين هي مخيمات : جباليا ، الشاطىء ، المغازي ، النصيرات ، البريج ، دير البلح ، خان يونس ، رفح . يقطنها ١٧٢ الفا فضلا عن ٨٧(١) الفا يقيمون في مدن وبلدان القطاع . اي أن الغالبية العظمى لسكان القطاع البالغ عددهم ٣٦٠ الفا هم من اللاجئين (٢٧٥ الف نسمة) المطحونين تحت قروس البؤس ، والشقاء ، والبعد عن الوطن . والى جانبهم يعيش ابناء القطاع المواطنون ، وهم ايضا اما صغار ملاك او فلاحون يملكون أرضا في المناطق التي احتلت ، او صيادو سمك ، او من صغار الشغيلة ، او صغار الحرفيين في صناعات الفخار ، والنسيج ، والصابون ، وقطف وتغليف البرتقال . كلهم يقيمون على رقعة من الارض لا تتجاوز مساحتها الـ ٣٦٠ كيلومترا مربعا اي بمعدل ١٠٠٠ نسمة (تقريبا) للكيلومتر المربع الواحد . من هؤلاء تشكلت عجينة البارود التي راحت تنضج ببطء على نار سنوات النزوح والمعاناة والصراع من أجل البقاء .. وما أن جاء المحتلون الاسرائيليون في حزيران عام ١٩٦٧ حتى كانت عجينة البارود قد نضجت تماما . وتذكر صحيفة **دافار** الاسرائيلية :

« ان اللاجئين هم خميرة الشعب العربي في القطاع . ولقد شكل هذا الشعب (اللاجئون والمواطنون معا) خلال سنوات الارهاب القريبة (المقاومة بعد الاحتلال)